# الخطاب الدينى
## بين
## التجديد الإسلامى... والتبديد الأمريكانى



obeikandl.com

**الطبعة الأولى**

**١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤م**

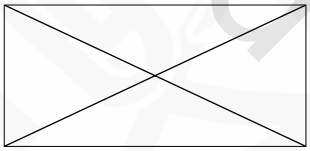

**شارع الفتح ـ أبراج عثمان أمام المريلاند ـ روكسى ـ القاهرة**

**تليفون وفاكس: ٤٥٤٤٤٦٧ ـ ٢٥٦٥٩٣٩ ـ تليفون ٤٥٣٦٢٤٨**

Email: shoroukintl @ hotmail. com

shoroukintl @ yahoo.com

د. محمد عمارة

# الخطاب الدينى

## بين

## التجديد الإسلامى... والتبديد الأمريكانى

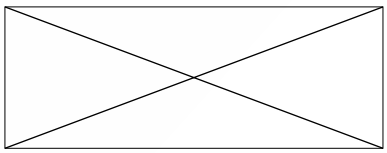

obeikandl.com

## ٢ ـ علمنة الإسلام:

وغـيـر الـذين أرادوا ـ بنقـد الخطاب الدينى الإسـلامى ـ إلغـاء الإسلام، بتأويل عقائده وأحكامه ومنظومة قيمه، تـأويلاً يفرغ الدين من الدين! ودعـوا إلى «تاريخية . . أو تاريخانية» النصوص المؤسِّسة للإسـلام ـ وفى مـقـدمتـهـا القـرآن الكـريم ـ لتتـحـول إلى «متـحف العاديات الفكرية» التى تجاوزها التاريخ!

غير هؤلاء الذين ذهبوا على هذا الدرب إلى «الحد الأعلى» ـ الذى هو «الأسفل» فى حقيقة الأمر! ـ كان هناك الذين وقفوا عند الدعوة إلى العلمانية، وإلى علمنة الإسلام وخطابه الدينى . .

ولقـد مـثل هذا الفـريق ـ هو الآخـر ـ صـوت سـيـده الأمـريكى والغـربى، الـذى أعلن أن الـهـدف من «الحـرب داخل الإسـلام» هى جعله علمـانيّا، كـمـا صنع به كـمـال أتاتورك (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) فى تركيا، بعد إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م . . ونحن نقول لدعـاة علمنة الإسلام وخطابه الدينى ـ الذى لن يصبح عند ذلك دينيّا!! :

إن العلمـانية قد مثلت جناية على النصـرانية الغربيـة ـ مع أن هذه النصرانية مجرد وصايا روحية صوفية، لخلاص الروح . . وليس فيها مرجعية للسياسة والاجتماع والاقتصاد والدولة ـ . . ومع ذلك، كانت العلمانية الغربية جناية على النصرانية الغربية، عندما استبدلت «الدين الحـداثى» ـ دين العـقل المجـرد ـ باللاهوت والدين الإلـهى، فأزاحت هذه العلمانيةُ النصرانيةَ من الثقافة الأوروبية . . ثم عجز هذا «الدين الحـداثى» عـن أن يجـيـب على الأسـئلة الطبـيـعـة والفطرية للإنسان، تلك التى كان يجيب عليها الدين الإلهى، فغدت أوروبا فراغًا عقديّا، لا هى نصرانية ـ كما كانت قبل العلمنة ـ ولا العلمانية

استطاعت ملء الفراغ الذى خلفته النصرانية المنهزمة . . ففقد الإنسان الأوروبى توازنه، بغيبة الروح والطمأنينة القلبية عن هذا الإنسان .

ويكفى أن نقدم لدعاة علمنة الإسلام وخطابه الدينى شهادة شاهد من أهلها . . شهادة القس الألمانى وعالم الاجتماع «جوتفراید كونزلن» التى يقول فيها : «**لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربى، وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر من حقب التاريخ البشرى، يتلاشى باطراد فى مسار التطور الإنسانى . . ولقد مثلت العلمنة : تراجع المسيحية . . وضياع أهميتها الدينية . . وتحوّل معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائى بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية . . وسيادة مبدأ : دين بلا سياسة وسياسة بلا دين .**

**ومن نتائج العلمانية : فقدان المسيحية لأهميتها فقدانًا كاملاً . . وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم . . بل وزوال أهميته أيضًا كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام . . فسلطة الدولة، وليس الحقيقة، هى التى تصنع القانون، وهى التى تمنح الحرية الدينية .**

**ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينًا حل محل الدين المسيحى، يفهم الوجود بقوانين دنيوية، هى العقل والعلم .**

**لكن . . وبعد تلاشى المسيحية . . سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان التى كان الدين يقدم لها الإجابات . . فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين . . وغدت الحداثة**

**العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتُفكِّكُ أنْسَاقَها ـ العقلية والعلمية ـ عدميةُ ما بعد الحداثة. . فدخلت الثقافة العلمانية فى أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحى فى أزمة. . فالإنهاك الذى أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلمانى الحديث. . وتحققت نبوءة «نيتشه» (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م) عن «إفراز التطور الثقافى الغربى لأناس يفقدون (نجمهم) الذى فوقهم، ويحيون حياة تافهة، ذات بُعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه». . وبعبارة «ماكس ڤيبر» (١٩٦٤ ـ ١٩٢٠م): «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم».**

**ولأن الاهتمام الإنسانى بالدين لم يتلاشَ، بل تزايد. . وفى ظل انحسار المسيحية، انفتح باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية التى لا علاقة لها بالمسيحية ـ ولا بالكنيسة ـ من التنجيم. . إلى عبادة القوى الخفية. . والخارقة. . والاعتقاد بالأشباح. . وطقوس الهنود الحمر. . وروحانيات الديانات الآسيوية. . والإسلام، الذى أخذ يحقق نجاحًا متزايدًا فى المجتمعات الغربية.**

**لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا. . ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلمانى على الإنسان الأوروبى، عندما أصبح معبدها العلمى عتيقًا! . . ففقد الناس «النجم» الذى كانوا به يهتدون: وعد الخلاص المسيحى. . ثم وعد الخلاص العلمانى»[١٣].**

هذه شهادة عقلاء الغرب على صنيع العلمانية بالمسيحية فى أوروبا

والغرب: «خراب دينى»، تلاه إفلاس علمانى، الأمر الذى أسلم الإنسان الأوروبى للقلق، الذى جعل أوروبا ـ رغم الوفرة المادية.. وتخمة الغرائز والشهوات ـ مكانًا لأعلى نسب الانتحار فى العالم!!.. وجعلها ـ رغم الإباحية الجنسية، بما فى ذلك الشذوذ ـ تعيش أعلى نسبة للعنف ضد المرأة.

ـ ففى السويد ٩٥٪ من الجنسين لهم تجارب جنسية قبل الزواج!..

ـ وفى النمسا قرابة ثلثى حالات الطلاق تتم بسبب العنف المنزلى!..

ـ وفى انجلترا أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك.. ولقد تضاعفت حالات الطلاق فى خمسين عامًا ثلاثة وعشرين ضعفًا!..

ـ وفى فرنسا، كل عشر زيجات بينهم تسع تتم خارج الإطار الشرعى ـ الكنسى والقانونى ـ و٥٣٪ من الأمهات يضعن مولودهن الأول خارج مؤسسة الزواج!..

ـ وفى الدنمارك، زادت نسبة المواليد غير الشرعيين خلال أربعين عامًا من ٥٪ إلى أكثر من ٥٠٪ من المواليد!.. وهذه هى نسبتهم فى فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وأيرلندا.

ـ ولقد أصبح تقنين حرية الشذوذ الجنسى ـ بكل ألوانه ـ شرطًا من شروط دخول الدول للاتحاد الأوروبى!..

ـ وفى أمريكا ٦٠٪ من عضوات أكبر المنظمات النسائية

سحاقيات! . . و٨٠٪ من الأمريكيات يفقدن بكارتهن قبل الزواج! . . و٨٠٪ من جرائم القتل عائلية! . . وفيها أعلى نسبة طلاق فى العالم! . . ولقد ارتفعت نسبة الجريمة فى ثلاثين عامًا . . من سنة ١٩٦٠م إلى سنة ١٩٩٠م ٥٠٠٪ . . و٢٠٪ من السكان يتعاطون أخطر أنواع المخدرات! . . وعائد الرأسمالية الأمريكية من تجارة الدعارة فى الأطفال ـ وحدهم ـ مليارى دولار سنويًا!

ـ وفى عالم العلمانية الغربية ـ التى يريدون تعميمها فى بلاد الإسلام ـ ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ (ستون مليونا) من النساء يحاولن الإجهاض كل عام! . . والتجارة الأولى ـ فى عالم العلمانية ـ هى تجارة السلاح، تليها تجارة المخدرات، تليها تجارة الدعارة!

فهل يراد للشرق الإسلامى أن تصنع به العلمانية ما صنعت بالغرب النصرانى؟! . . وبعبارة أدق «بالغرب الذى كان نصرانيًا؟!» . . ذلك أن العلمانية قد أخرجت أوروبا عن أن تكون ـ كما كانت ـ قلب العالم المسيحى . . فالذين يؤمنون فيها بوجود إله لا يتجاوزون ١٤٪ . . والذين يذهبون إلى الكنائس لا يتجاوزون ١٠٪ . . وهم يذهبون إلى الكنائس كما يذهبون إلى حفلات الترفيه، بإغراءات الموسيقى الصاخبة . . والاختلاط الماجن . . فحتى هذه الكنائس ـ التى لم تغلق بعد ـ قد خان الكثير منها مسيحيتها، فغدت تزوج الشواذ . . بل ودخل نفر من كهنتها فى صفوف الشواذ! .

بل إن العلمانية قد أوصلت إنسانها إلى ألوان من الأنانية واللاأدرية والقنوط ـ عندما فقد «النجم» الذى يهديه ـ فعزف عن الزواج والإنجاب ـ فتحللت الأسرة ـ وتدنى معدل الخصوبة إلى حده

الأدنى ـ عالميّا ـ فى عالم العلمانية، حتى لقد شاع الحديث عن «موت الغرب»، وانقراض شعوبه.. وفى مقدمة الشعوب المعرضة لهذا الخطر الشعب الإيطالى ـ حيث الڤاتيكان ـ !! وفى ألمانيا تغلق المدارس ـ مع الكنائس ـ لقلة الأطفال والمؤمنين!.. وفى انجلترا تنبأ البعض بزيادة عدد المسلمين على عدد الأنجليكانيين الملتزمين دينيّا بعد عدة سنوات!!

فهل يريد الحداثيون المتغربون ـ الداعون إلى علمنة الإسلام.. وخطابه الدينى ـ أن تتجرع أمتنا الإسلامية هذا الكأس المسموم للعلمنة والعلمانية؟!.. ليصبح إسلامنا، وتصبح أمتنا ـ دينيّا.. وخلقيّا.. واجتماعيّا ـ على هذا الحال البائس الذى صنعته العلمانية بأوروپا والغرب؟!

وهل هذه العلمانية ـ التى يريد الغرب والمتغربون أن نتجرع كأسها المسموم ـ هى الطريق إلى تجديد الخطاب الدينى فى الإسلام؟!..

* * *

إن الإسلام لم ولن يعرف الكهانة التى تحتكر العلم الإسلامى فى فئة من الفئات أو طبقة من الطبقات.. فقط، لا بد للحديث فى الإسلام وخطابه الدينى من «العلم» و«الاستقامة» فبدون العلم الإسلامى لا يحق لإنسان الخوض فى «الشأن الإسلامى»: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء: ٣٦)، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصلت: ٣٠).

فبدون «العلم الإسلامى» يصبح الخوض فى الحديث عن الخطاب الدينى مجازفات غاشمة تتساوى مع «العدوان». . وبدون «الاستقامة» يصبح «العلم» ـ فى حالة وجوده ـ علمًا شيطانيًا، يفسد ويضل، بدلاً من الهداية والإصلاح.

لذلك، يحق لنا ـ وللقرّاء ـ أن يتساءلوا: هل من حق هذا «الحداثى ـ الفرنكفونى» أن يشرع لأمة محمد ﷺ، كيف تجدّد خطابها الدينى؟!. . هذا «الحداثى ـ الفرنكفونى» الذى:

يدعو إلى تعبير الأنثى بجسدها. . لأن فصاحة الجسد العارى ـ عنده ـ لا تعادلها فصاحة أخرى!. . فالجسد العارى «للموديل ـ فى مرسم الفنان ـ بل ولجسد آدم وحواء، هو قمة البلاغة فى التعبير»!.

* وهو يدعو إلى الاحتفال بالإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٤ق.م) وتزيين ميادينا بتماثيله ـ مع أنه هو الذى افتتح غزو الغرب للشرق. . وقهر الغرب لحضارات وديانات وثقافات الشرق، قهراً دام عشرة قرون. . حتى جاء الفتح الإسلامى فحرر الشرق من هذا القهر الحضارى.

* ولقد شارك هذا «الحداثى الفرنكفونى» فى الاحتفال بالاحتلال ـ بدلاً من الاستقلال ـ احتلال «بوناپارت» (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) لبلادنا (١٢١٣ ـ ١٧٩٨م). . احتفل بهذا الاحتلال ـ فى ذكرى مرور قرنين عليه ـ عامين كاملين ـ هما مدة ذلك الاحتلال!.

* وكتب هذا الحداثى، متحديًا المشاعر الفطرية للأمة ـ وللإنسانية ـ عندما قتل الصهاينة الطفل «محمد الدرة» فدعا إلى «كراهية القتل» دون «كراهية القاتل الصهيونى»!!. . الأمر الذى يطرح السؤال

عن ما إذا دخل هذا «الرجل» إلى بيته فوجد من يرتكب جريمة القتل أو السرقة أو الزنا . . هل سيكره الجريمة دون المجرم؟! . . وهل تقام العقوبة على الجريمة أم على المجرم؟!

* بل لقد ذهب هذا «الحداثى الفرنكفونى» إلى حد إنكار وجود المقدسات . . فعندما سئل عن رأيه فيما «**لو اصطدم المبدع الشاعر بما هو مقدس؟**» . . فكان جوابه : **«إن المقدس ليس كائنًا خارج الشعر أو خارج الإنسان . . المقدس مقدس لأننا نقدسه . . والشاعر يفترض أنه قد غلبته النشوة، أو روح السخرية، أو الجحود، فماذا يصنع فى هذه الحالة؟ نحن نتوقع دائمًا من الشاعر أن يكتب بلغة تؤدى ما يريد أن يؤديه، لكن تظل اللغة محافظة على ما لها من جمال**»(١٤) .

فالمقدس الدينى ـ عند هذا «الحداثى الفرنكفونى» ـ هو اختراع يخترعه من يؤمن به، ولا وجود له فى الواقع والحقيقة . . والسخرية من هذا المقدس، والجحود له ـ فى لحظات «النشوة» ـ أمر طبيعى، طالما كانت العبارة التى تعبر عن هذه السخرية وهذا الجحود، عبارة جميلة . . فقط لا غير!!

فهل من مثل هذا ـ وأمثاله ـ تتعلم أمة محمد ﷺ ، كيف تجدّد خطابها الدينى؟! .

* * *

# وصمت الجبناء
# عن عورات الخطابات الأخرى

إننا نسأل هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون فى قضية الخطاب الدينى، من الذين يريدون «تبديد» هذا الخطاب بالعلمانية حينًا، وبنسخ الدين وإلغائه بالتأويل العبثى لنصوصه المقدسة، والأحكام والعقائد والقيم التى جاءت بها هذه النصوص.. نسأل هؤلاء الذين انطلقوا ـ بتمويل الغرب وتنظيماته ـ يتحدثون عن الخطاب الدينى عندما وضع الغرب هذه القضية فى «جدول أعمال» المنظمات والمؤتمرات التى يقيمها وينفق عليها.. نسألهم:

ـ أليس هناك ـ فى الدنيا ـ خطابات دينية ـ غير الخطاب الإسلامى ـ تحتاج إلى تجديد؟!.. بل وأولى كثيراً جدّا من الخطاب الإسلامى بالتجديد؟!

لمَ لم يتحدث واحد منهم ـ ولا منظمة من «منظمات مجتمعهم المدنى» أو مؤتمر من مؤتمراتهم الممولة باليورو والدولار ـ عن وضع المرأة ـ مثلاً ـ فى الخطاب الدينى لليهودية؟ وهم الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عن وضع المرأة فى الخطاب الدينى الإسلامى؟.. وإذا كان فى «الفكر» الإسلامى لون من التخلف فى النظرة للمرأة ـ وهذه

حقيقة ـ فهلا قرأوا فى النصوص المؤسِّسة لليهودية التلمودية، ما جاء فى سفر التكوين إصحاح ٣: ١١، ١٢، ١٦: «**لقد سأل الرب آدم**:

**ـ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟.**

**ـ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت**».

**ـ فقال الرب للمرأة: تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك»!!.**

ففى هذا النص التأسيسى ـ الذى كتبوه بأيديهم ثم قالوا هو من عند الله ـ وليس فقط فى «الخطاب» اليهودى ـ تتحمل المرأة وحدها وزر الخطيئة الأولى ـ التى حملت البشرية كل تبعات أوزارها ـ الأمر الذى جعل حملها وولادتها ـ بل وحتى اشتياقها إلى زوجها ـ عقوبات إلهية للمرأة على هذه الخطيئة الأولى!..

فأين هذا من مقالات ومؤتمرات الذين تخصصوا فى الخطاب الدينى الإسلامى، وحده.. وفقط لا غير؟!..

وألم يصل إلى علمهم أن التراث اليهودى يُعلم أبناءه أن يصلوا كل صباح صلاة شكر لله لأنه لم يخلق الواحد منهم عبدًا ولا وثنيًا ولا امرأة؟!.. وللرجل ـ فى هذا التراث وخطابه الدينى ـ أن يبيع بناته إماءً؟!

ولمَ لا يتكلم الغرب والمتغربون عن الخطاب النصرانى الغربى، الذى جاء فيه ـ عن المرأة ـ قول القديس «فنتيرا» (١٢٢١ ـ ١٢٧٤م): «**إذ رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودًا بشريًا، ولا موجودًا**

**موحشًا؛ لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه. وإذا ما تكلمت، فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى»!**

**وجاء ـ فى هذا التراث.. وخطابه الدينى ـ قول القديس «توما الأكوينى» (١٢٢٥ ـ ١٢٧٣م) عن المرأة: «لا وجود فى الحقيقة إلا لجنس واحد، هو المذكر، وما المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب إن كانت المرأة، وهى الكائن المعتوه والموسوم بميسم الغباء ـ قد سقطت فى التجربة (الخطيئة الأولى).. ولذلك، يتعين عليها أن تظل تحت الوصاية»!**

**أما القديس «أغسطين»(٣٥٤ ـ ٤٣٠م) فلقد دعا إلى «إخضاع النساء للرجال كما يخضع العقل الضعيف للعقل القوى»!..**

وقبل ذلك، جاء فى رسالة «بولس» الأولى لأهل «كورنثوس»:

**«فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأةمن أجل الرجل»** ـ إصحاح ١١: ٧ ـ ٩.

وجاء فى هذه الرسالة أيضًا:

**«لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا. ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة»** ـ اصحاح ١٤: ٢٤، ٢٥.

فأين هى كتابات الحداثيين والمتغربين ومؤتمراتهم ـ الممولة من

الغرب ـ عن تجديد هذه الخطابات الدينية؟! . بل، ولم يصمت هؤلاء صمت القبور عن الخطاب الدينى العنصرى لليهودية التلمودية، التى جعلت من العنصر اليهودى وحده شعبًا مختارًا لله، ومقدسًا فوق جميع الشعوب، ودون كل الشعوب، ليأكل هؤلاء اليهود كل الشعوب أكلاً! . . ويبيدونهم ويهلكونهم هم وكل مقومات الحياة التى لديهم ـ وهى عنصرية تعدت حدود «الخطاب» لتضعها الصهيونية فى الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين، فى حماية وحراسة الغرب وخطاباته الدينية «المسيحية ـ الصهيونية»، فى القرن الواحد والعشرين!!

لم يصمت كل هؤلاء الغربيين والمتغربين عن الخطاب الدينى اليهودى، الذى يقول «عهده القديم» ـ فى التشريع للتطهير العرقى ـ: «**وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردنّ أريحا قائلاً: كلّم إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. تملكون الأرض وتسكنون فيها. . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم، يضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها، فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم**» سفر العدد. . إصحاح ٣٣: ٥٠ ـ ٥٣، ٥٥، ٥٦ ـ.

وهذا الخطاب اليهودى هو الذى يشرع «لترا نسفير ـ التهجير القسرى»، الذى مورس ويمارس ضد الشعب الفلسطينى منذ سنة ١٩٤٨م وحتى اليوم. . حتى لقد قذف بنحو سبعة ملايين فلسطينى من ديارهم إلى المنافى والمخيمات والمستنقعات، دون أية حقوق للإنسان. . بل ولا حتى الحيوان!

وهذا الخطاب الدينى اليهودى هو الذى يشرع للإبادة التى تمارس الآن على أرض فلسطين ـ إبادة البشر والشجر والحجر وكل مقومات الحياة ـ وذلك انطلاقًا من «آيات» العهد القديم التى تقول ـ على لسان الرب ـ : «**إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً . . فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرّمها (تهلكها) بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف . . تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد . . لكى يرجع الرب عن حموّ غضبه، ويعطيك رحمة**»! سفر التثنية إصحاح ١٣ : ١٢ ، ١٥ ـ ١٧ ـ . . فرحمة الرب «يهوه» مرهونة بإبادة الإنسان والحيوان، وحتى الطبيعة أيضًا! . .

كما يشرّع هذا الخطاب الدينى اليهودى للاستعباد الجماعى . . فمن ينجُ من إبادة اليهود، يقع فى العبودية والاستعباد، حتى ولو كانت هناك عقود صلح ومعاهدات وعهود! . . يشرّع لذلك، فيقول ـ على لسان الرب«يهوه» ـ: «**حين تقترب من مدينة لكى تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك . . وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن . . فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريمًا ـ (تهلكها إهلاكًا) . .**» ـ سفر التثنية . إصحاح ٢٠ : ١٠ ـ ١٦ .

فالذين يسالمون ويسلّمون ويعاهدون، لهم السخرة والاستعباد. . والذين يحاربون دفاعًا عن مدينتهم لهم الإبادة والهلاك!.

بل ويبلغ هذا الخطاب الدينى اليهودى قمة العنصرية عندما يقدس العنصر اليهودى، ويجعله شعبًا مقدسًا معصومًا، دون كل الشعوب، وفوق جميع الشعوب، ليأكل كل الشعوب، دون أن تشفق عين اليهود على أى من هذه الشعوب، أو أن يعقدوا لهم عهدًا!. . فيقول هذا الخطاب ـ فى «العهد القديم» ـ على لسان «الرب يهوه»، مخاطبًا الشعب اليهودى: «**سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرّمهم (تهلكهم). . لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم. . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب. . لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك عليهم. .**» سفر التثنية إصحاح ٧: ١ ـ ٣، ٦، ٧، ١٤ ـ ١٦ ـ.

فأين الحداثيون والعلمانيون ودعاة تاريخية النصوص الدينية. . وأين المؤتمرات الممولة من الغرب، من هذا الخطاب الدينى، الذى يمارس الآن ويطبق على أرض فلسطين، فى القرن الواحد والعشرين؟!. .

كما يصمتون صمت القبور على نصوص التلمود التى تقول ـ من خلال الخطاب الدينى اليهودى ـ: «**إن غير اليهودى ليس أخًا. .**

**لذلك، يحظر على الطبيب اليهودى معالجة غير اليهودى.. حتى ولو كان مقابل أجر.. ولكن إذا كنت تخشاه فعالجه بأجر.. ومن المسموح تجريب عقار على غير اليهودى إذا كان ذلك يخدم غرضًا معينًا.. ويحظر انتهاك السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودى فى حالة بالغة الخطر!.. ويحظر توليد امرأة غير يهودية يوم السبت حتى مقابل أجر!.. وإذا ضاجع اليهودى امرأة غير يهودية، يجب قتلها، كما هى الحال بالنسبة للبهيمة، لأن اليهودى يتعرض للمشاكل بسببها!.. ولأن جميع غير اليهوديات عاهرات!!.. ولا يجوز النصب على اليهودى.. لكن ذلك لا ينطبق على غير اليهودى!.. ولا يجوز السماح ببقاء وثنى واحد (غير يهودى) ساكنًا بين اليهود، حتى ولو كانت إقامته مؤقتة، أو كان تاجرًا جوالاً!.. لأنه مكتوب (فى سفر الخروج): «لن يسكنوا أرضك..»!.. وينبغى أن يتلفظ اليهودى باللعنات إذا مر بجوار مقبرة غير يهودية، بينما يتلفظ بالتبريكات إذا مر بجوار مقبرة يهودية!.. فكل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أى شىء جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودى يختلف نوعيًا عن الجنين اليهودى، كما أن وجود غير اليهودى مسألة غير جوهرية فى الكون، فقد تشاكل الخلق من أجل اليهود فقط! والمرأة اليهودية العائدة من حمامها الطقسى الشهرى من أجل الطهارة، يجب أن تحاذر ملاقاة أربعة كائنات شيطانية: أحد الأغيار، أو خنزير، أو كلب، أو حمار!.. وإذا حدث وقابلت أحدهم يجب أن تعيد الاستحمام مرة ثانية»[١٥] !!..**

أين جهابذة العلمانية وتاريخية النصوص الدينية من هذا الخطاب الدينى، الذى يجعل العنصر اليهودى فعالاً لما يريد.. ومقدسًا

معصومًا لا يُسأل عما يفعل في سائر خلق الله؟! . . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥). ولماذا هذا الصمت المطبق عن هذا الخطاب الديني الذي يقطر عنصرية ودموية، والذي يوضع اليوم في الممارسة والتطبيق؟!.

لقد صدقت الحكمة الشعبية: «من يأكل عيش الخواجة يضرب بسيفه»: . . وصدق شاعرنا القديم عندما قال:

تعال الله يا سلم بن عمرو أذل المال أعناق «الرجال»!

ولا حول ولا قوة إلا بالله! . .

* * *

# وأخيرًا

فإن عاقلاً لا ينكر حاجة خطابنا الدينى الإسلامى إلى التجديد . . لكنه التجديد الذى حدده علماؤنا لمعنى التجديد . . وليس «التبديد» الأمريكانى، الذى يدعو إليه الحداثيون والعلمانيون . .

إن الجامعات الإسلامية التى تخرج الدعاة ـ والتى هبط مستواها مع هبوط مستويات كل مؤسسات التعليم والثقافة والإعلام ـ تحتاج إلى وقفة جادة، لتعود إلى المستوى الذى يضمن تخريج الدعاة الذين يستطيعون مواجهة التحديات الشرسة التى تواجه الإسلام والمسلمين .

وإن هذه الجامعات فى حاجة إلى أن تدرّس أعمال الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى والمراغى ومصطفى عبد الرازق وعبد المجيد سليم والخضر حسين وشلتوت والطاهر بن عاشور والسنهورى وعلال الفاسى والشيخ الغزالى ـ وغيرهم من أعلام الإحياء والتجديد ـ بدلاً من تدريس «المذكرات الهابطة» و«الكتب السطحية» التى غدت وسيلة «للارتزاق»! . .

وهذه الجامعات فى حاجة إلى إحياء نهج العقلانية الإسلامية

المؤمنة، الجامعة ـ فى الخطاب الدينى ـ بين العقل والنقل والتجربة والوجدان. . والتى نفقه بها الواقع والأحكام لنعقد القران بين فقههما. . والتى نقرأ بها كتاب الله المسطور وكتابه المنظور ـ الوحى. . والكون ـ فبذلك، وبذلك وحده، نقطع الطريق على الجمود والتقليد فى خطابنا الدينى. . وعلى التغريب والعلمنة لخطابنا الدينى. . فبالتجديد الإسلامى، لا بالتبديد الأمريكانى، يكون التقويم لما فى فكرنا وخطابنا من اعوجاج.

* * *

**الهوامش:**

(١) محمد عبده (الأعمال الكاملة) جـ٣ ص ٣١٤ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة ط القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) الأفغاني (الأعمال الكاملة) ص ١٩٥ـ١٩٦. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. ط القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٣) الغزالي (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ١٠ ط القاهرة ١٩٠٧م.

(٤) ابن القيم (إعلام الموقعين) جـ١ ص ٢٩ـ٣٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

(٥) انظر ـ في تفصيل ذلك، وتوثيق هذه النصوص وغيرها ـ كتابنا (في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام) ص ٩١ـ١٠٢ ط القاهرة سنة ٢٠٠٣م. وصحيفة (الحياة) ـ لندن ـ في ١٧ـ١٠ـ٢٠٠٣. وصحيفة (الأهرام) ـ القاهرة ـ في ١٨ـ١٠ـ٢٠٠٣م.

(٦) هاشم صالح. صحيفة (الشرق الأوسط) ـ لندن ـ في ١٣ـ١٢ـ٢٠٠١م.

(٧) د. نصر حامد أبو زيد «الإسلام والغرب: حرب الكراهية» ـ مجلة (وجهات نظر) ـ القاهرة ـ في يناير سنة ٢٠٠٢م.

(٨) د. نصر حامد أبو زيد «مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق» ـ مجلة (القاهرة) في أكتوبر سنة ١٩٩٢م. و(نقد الخطاب الديني) ص ٨٣، ٢٨، ٢٩ ط القاهرة سنة ١٩٩٢م. و«إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني» «مجلة القاهرة» في يناير سنة ١٩٩٣م.

(٩) د. نصر حامد أبو زيد (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن) ص ١٤، ٢٧، ٢٨. طه القاهرة سنة ١٩٩٠م.

(١٠) المرجع السابق. ص ٦٩، ٥٦، ٥٩، ٣٨.

(١١) (نقد الخطاب الديني) ص. ١٧٤, ١٧٩.

(١٢) د. نصر حامد أبوزيد (الخطاب والتأويل) ص ١٣٥، ١٣٦. طبعة المركز الثقافي العربي ـ المغرب ـ سنة ٢٠٠٠ م.

(١٣) جوتفريد كونزلن (مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا) (شهادة ألمانية) ص ٢٥ ـ ٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩ م.

(١٤) أحمد عبد المعطى حجازى ـ من حوار مع (أخبار الكتاب) التى تصدر عن اتحاد كتاب مصر ـ عدد ٣٧ ـ سبتمبر سنة ٢٠٠٠ م.

(١٥) إسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ٤٠ ومابعدها ترجمة حسن خضر. ط القاهرة سنة ١٩٩٤ م.

* * *

## منشورات مكتبة الشروق الدولية
## للدكتور محمد عمارة

- الإسلام والآخر.
- فى المسألة القبطية.
- الإسلام والأقليات.
- فى فقة المواجهة بين الغرب والإسلام.
- مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية.
- الغرب والإسلام.
- مقالات فى الغلو الدينى واللادينى.
- الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى.

obeikandl.com

# الفهرس


| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|
| **تقديم** | ٥ |
| **مقدمات ثلاث:** | |
| المقدمة الأولى: التجديد ـ فى الإسلام ـ سنة وقانون. | ٧ |
| المقدمة الثانية: التجديد الإسلامى مواجهة ـ وسطية ـ | ٩ |
| ضد الجمود ـ وضد التغريب | ١١ |
| المقدمة الثالثة: تنوع وتعدد الخطاب الدينى فى الإسلام | ١٣ |
| **التبديد الأمريكانى لخطابنا الدينى** | ٢١ |
| **الفجور العلمانى بين حده الأعلى.. وحده الأدنى** | |
| ١ ـ التأويل العبثى للدين | ٢٩ |
| ٢ ـ علمنة الإسلام | ٣٧ |
| **وصمت الجبناء عن عورات الخطابات الأخرى** | ٤٥ |
| **وأخيراً** | ٥٣ |
| الهوامش | ٥٥ |
| كتب الدكتور محمد عمارة | ٥٧ |